مجالات الوقف المؤثرة في الدعوة إلى الله

٩٠٠٠٠٣٧-٣

بحث مقدم

لمؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية

الذي نظمته جامعة أم القرى

بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد

في مكة المكرمة عام ١٤٢٢هـ

اعداد

ا.د. محمد الد سوقى

أستاذ الفقه والأصول بكلية الشريعة

جامعة قطر

مقدمة

الحمد لله الذى بيده ملكوت كل شئ، وهو على كل شئ قدير، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد فان من أهم خصائص المجتمع الاسلامى أنه مجتمع الأخوة والمساواة والايثار، وهذه الخصائص تفرض على المؤمنين بالا سلام أن يسود بينهم التكافل فى المشاعر والأحاسيس فضلا عن التكافل فى الحاجات والماديات، ومن ثم كانوا بهذا الدين كالجسد الواحد أو كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وتعاليم الاسلام تؤكد كلها التكافل بمفهومه الشامل بين المسلمين، وتقضى على كل من لا يبذل من عواطفه وجاهه وماله لغيره من إخوانه المؤمنين بأنه ليس منهم، ولذلك لا يعرف المجتمع الاسلامى فردية أو أنانية أو سلبية، وإنما يعرف إخاء صادقا وعطاء كريما، وتعاونا على الخير والبر دائما، وبهذه المعانى كانت للمؤمنين بالاسلام مترلة الشهادة والخيرية على غيرهم من الأمم، وكانوا أهلا للعزة والقيادة والريادة فى شتى المجالات.

ولا يسع المجال لتفصيل القول فى أثر تعاليم الإسلام فى وحدة أتباع هذا الدين القويم، وأنهم به قوة عادلة تحمى الحق وتنصر الخير وتأخذ على أيدى القاسطين والمفسدين، كما أنهم به أيضا صورة حية عملية للعقيدة الصحيحة والتشريعات القويمة والآداب السامية، والقيم الإنسانية الخالدة، وهذا يفسر بعض أسباب انتشار الإسلام فى بلاد متعددة لم تطأها جيوش اسلامية و إنما كان التجار والرحالة والعلماء والمهاجرون هم حملة الإسلام اليها، لقد كان هؤلاء بسلوكهم وأخلاقهم دعاة الى الله فأقبل الناس عليهم، وآمنوا بعقيدتهم، بل وأصبحوا بعد ذلك من حملة الإسلام إلى سواهم.

ويعرف الوقف لغة بالحبس [1] عن التصرف، ولهذا يعبر عنه بالتحبيس كما يعبر عنه بالتسبيل، بمعنى الإباحة أو ارسال الشئ وجعله فى سبيل الله، يقال سبل ضيعته تسبيلا، أى جعلها فى سبيل الله.

وللوقف فقها عدة تعاريف [2] تختلف من حيث الصياغة، غير أنها تتفق غالبا من حيث المضمون، وما بينها من تفاوت فى هذا يرجع الى زيادة قيد أو شرط فى تعريف دون آخر.

---

(١) انظر مادة " وقف " فى لسان العرب والمعجم الوسيط.

(٢) انظر شرح فتح القدير جـ ٥ ص ٣٧ ط دار صادر بيروت، وكفاية الأخيار لابى بكر بن محمد الحسينى ج ١ ص ٣٠١ ط قطر، والاقناع فى حل ألفاظ ابى شجاع للخطيب الشربينى ج ٢ ط الحلبى، القاهرة.

ويذهب الشيخ محمد أبو زهرة الى أن أصدق تعريف مصور جامع لصور الفقه عند الفقهاء الذين قرروه هو: منع التصرف فى رقبة العين التى يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء [1].

فالوقف طوعا لدلالته اللغوية والفقهية عمل مبرور وانفاق فى سبيل الله بكل صوره ومجالاته. ومن ثم يعد الحديث عن بعض هذه المجالات، وأنها أكثر تأثيرا فى الدعوة الى الله لونا من التقسيم الفنى، ولا يعنى أن ما سوى هذه المجالات كالتنمية الاقتصادية والرعاية الاجتماعية والصحية لا علاقة لها بالدعوة الى الله فهى تقوم بهذه الدعوة بأسلوب غير مباشر.

وقد سلكت فى دراسة هذا الموضوع المهم منهجا يتركب بعد هذه المقدمة من تمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

تحدثت فى التمهيد عن عالمية الإسلام، وأهم الأدلة على هذه العالمية، وما تفرضه على الأمة من وجوب الدعوة اليها.

وعرض المبحث الأول لأثر الوقف على المساجد فى الدعوة إلى الله، كما تناول المبحث الثانى الوقف على الحرمين ودوره فى تبليغ الرسالة الخاتمة.

وأما المبحث الثالث فقد عقد لأثر الوقف فى الأخذ بأيدى الذين آمنوا حديثا بالإسلام حتى يستقر الايمان فى قلوبهم.

وعقد المبحث الرابع للوقف على الجهاد فى سبيل الله وبيان كيف كان الوقف قوة فاعلة فى اعداد الجيوش لخوض معارك الحق فى الماضى، وكان قوة مضادة فى مواجهة التخطيط الغربى للقضاء على الاسلام فى دياره فى العصر الحديث.

وسجلت الخاتمة أهم نتائج الدراسة و بعض التوصيات.

والله أسأل أن يسدد خطى الجميع على طريق العمل لخدمة الاسلام والمسلمين فى عصر تداعت فيه على هذا الدين والمؤمنين به الذئاب من كل مكان (و لينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) [2].

ا.د. محمد الدسوقى

---

(١) انظر: محاضرات فى الوقف للشيخ محمد أبو زهرة ص ٥ ط دار الكتاب العربى.

(٢) الآية: ٤٠ في سورة الحج.

تمهيـــــد

" عالمية الإسلام "

الإسلام الحنيف هو الدعوة العالمية الكبرى التى بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم لتكـــون نظـــام الانسانية الكامل فى حياتها الروحية والمادية فى كل زمان ومكان [١].

وعالمية الإسلام الحنيف حقيقة تطالع كل من يتلو كتاب الله، فهذا الكتاب العزيز فى كثير من آياتـه يخاطب الناس ويدعوهم الى الإيمان وينهاهم عن الشرك والعصيان، وفى بعض الآيات يتحدث فى جـلاء عن هذه العالمية كقول الله تعالى: (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكـــثر النـــاس لا يعلمون) [٢].

فهذه الآية نصت فى عبارة صريحة واضحة على أن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة، بيـد أنها فى نهايتها تشير الى أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، ومن جهل شيئا عاداه ومن ثم ســيعادى هـــذه العالمية، و يسعى جهده لمنع انتشارها الكثير من البشر (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويـــأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) [٣].

وتتحدث أيضا بعض الأحاديث النبوية عن عموم الرسالة الإسلامية منها ما روى عن رســـول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجملـــه إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هل وضعـــت اللبنـــة فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين " [٤].

وفضلا عن تلك الآيات والأحاديث التى بينت أن الإسلام دعوة الله العامة للبشرية قاطبة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخرج العرب وحدهم من الظلمات الى النور، وإنما بعث ليخرج النـــاس كافة وليكون رحمة الله للعالمين – فإن هناك أمرين يؤكدان بما لا يدع مجالا للريب عالميـــة الإســـلام،

---

(١) انظر: تذكرة الدعاة للأستاذ البهي الخولي ص ١٣ ط. القاهرة.

(٢) الآية: ٢٨ في سورة سبأ.

(٣) الآية: ٣٢ فقى سورة التوبة.

(٤) رواه الامام مسلم. حديث رقم ٢٢٨٦ تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى.

وهذا الأمران هما:

أ - تعاليم الإســـــــلام. **ب - معجزة القرآن.**

إن تعاليم الإسلام تخاطب فى الانسان فطرة الله التى فطر الناس عليها، وهذه الفطـــرة لا تختلـف باختلاف الزمان والمكان، لأنه لا تبديل لخلق الله، ومن هنا كانت هذه التعاليم صالحة للتطبيق الدائـم، وكان على الناس جميعا أن يستمسكوا بها ويحافظوا عليها.

إن الحق سبحانه خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وما فيه صلاحـه وفلاحـه فى الدنيـا والآخرة (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) [1] (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تسوس بـه نفسـه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) [2]. وغير مقبول فى منطق العقل أن يكون هناك تضاد أو تناقض بـين ما شرع الله لعباده وما فطر هم عليه، ومن ثم تنسجم تعاليم الإسلام كل الإنســـجام مـع الطبـائع الإنسانية، والنزعات النفسية، والقوى البشرية، وما يعرض لها من عوارض وما تتأثر به من مؤثرات[3].

ان كل ما كتبه الله على عباده متفق تماما الإتفاق مع ما جبل عليه الإنسان بصفتـه إنسـانا مـن طاقات ذهنية ونفسية، فليس فيه ما ينبو عن العقل، والإستعداد للحضارة، والقدرة علـى إكتسـاب المعرفة، وسد الحاجة، وتطوير الحياة [4].

وكان من مظاهر ملاءمة تعاليم الإسلام للفطرة الإنسانية، قيامها على اليسر ونفى الحـرج، فقـد جاءت وفق القدرة البشرية، وراعت كل ما يعرض من ظروف تحول بين الإنسان والالتزام بهذه التعاليم كليا أو جزئيا، وجعلت للناس من كل ضيق مخرجا ومع كل عسر يسرين لا يسرا واحدا (فـان مـع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) [5].

---

(١) الآية: ١٤ في سورة الملك.

(٢) الآية: ١٦ في سورة: ق.

(٣) انظر: الأسس العامة التى قام عليها التشريع الإسلامي بحث للشيخ على الخفيف — مجلة الأزهـر — المجلـد ٢٤ ص٣٠.

(٤) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها للأستاذ علال الفاسي ص ٦٦ ط. مكتبة الوحدة العربية.

(٥) الآية: ٥، ٦ في سورة الشرح، وفي هاتين الآيتين ورد العسر معرفة واليسر نكرة، والمعرفة اذا كررت كانت عينـه فلا يعني ذكرها أكثر من مرة تعددها على حين أن النكرة اذا كررت كانت غيرا، وقد أخرج الحاكم والبيـهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في الآيتين: لن يغلب عسر يسرين.

وأوضح برهان على قيام التعاليم الإسلامية على اليسر قلة التكاليف وتشريع الرخـــص ومراعـــاة الأعراف الصحيحة [1]، ودرء الحدود بالشبهات.

ومع قيام تلك التعاليم على اليسر تقوم على مراعاة مصالح العباد فى المعاش والمعاد، وتسوي بينهم فى الحقوق والواجبات، وتجمع بين الترغيب والترهيب، ولذلك سايرت الزمن ووسعت التطور وصلحـــت لكل أمة ولاءمت كل وقت، ولكن الناس لما جهلوا هذه التعاليم انصرفوا عنها الى غيرها فضلت بهـــم السل [2]، ولن ينقذهم مما هم فيه الا تلك التعاليم التى صلح عليها أمر الدنيا والآخرة.

ويطول الكلام فى الحديث عن تعاليم الإسلام، وهذه اشارة عامة الى أخص سماتها.

وأما معجزة القرآن فإنها تختلف عن سائر معجزات الأنبياء الذين خلوا من قبل محمد صلى الله عليـه وسلم، إنها معجزة عقلية وليست مرتبطة فى وجودها بحياة الرسول أو شخصه مثل المعجـــزات الـــتى سبقتها، فقد كانت حسية وشخصية.

إن معجزة القرآن تخاطب العقل والوجدان وباقية الى يوم الدين، فهى من ثم معجزة الدهر، ودعـــوة الحق الى كل إنسان على ظهر هذه الأرض الى أن يقوم الناس لرب العالمين.

إن الناس بعد محمد – صلى الله عليه وسلم – يرون معجزته رأي العيان كمن شاهدوه وخـــاطبوه، وإذا كانت الأجيال ترى هذه المعجزة وتفهمها فهى حجة الله القائمة عليها، فإن ضلت فإنها لا تضـــل عن جهالة، ولا عن نقص فى الدلائل، ولا من شك فى الأمر، بل عن عمى فى البصيرة وتحكم فى الهـوى [3]. ويتأسس على الإيمان بعالمية الإسلام ثلاثة أمور:-

أولا: ان كل الرسالات التى سبقت رسالة الإسلام التى بعث بها محمد صلى الله عليه وســـلم دعـــوات مرحلية ومحلية، وقد نسخت برسالة الإسلام، فمن لم يؤمن بما جاء به محمد صلى الله عليه وســـلم فهو كافر وإن زعم أنه يؤمن بالله وحده.

ثانيا: ومادام ما بعث به محمد جاء للناس كافة فإن هذا يقتضى أن يكون هذا النبى آخر رسول يوحـــى اليه، فالعموم والصلاحية الدائمة للتطبيق وبقاء المعجزة إلى يوم الدين يدل على أن محمـــدا لا نـــبي

---

(١) انظر: أصول الفقه الإسلامي للشيخ زكي الدين شعبان ص ١٩١ ط. جامعة بنغازي، ليبيا

(٢) انظر: مجلة الأزهر، المجلد ٢٤، ص ٣٦، مرجع سابق.

(٣) انظر: القرآن المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة ص ١٥ ط. دار الفكر العربي بالقاهرة.

بعده وأن الله ختم به النبوات (ما كان محمدا أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما) [1] فكل من يدعى النبوة بعد محمد فهو كاذب لا محالة، وتجب مناهضته والقضاء عليه، لأنه مفسد وضال، ومن هادنه أو تركه وما يأفك به فهو شريك له فى ذلك الافتراء والادعاء.

ثالثا: إن الإيمان بعموم الرسالة الخاتمة يفرض وجوب الدعوة إليها ما استطاع المؤمنون بها الى ذلك سبيلا، حتى لا يكون أمام أى مكلف عذر فى أن هذه الرسالة لم تبلغه، وفى هذه الحالة لا يكون مسئولا، وإنما يسأل من آمن بالإسلام وقصر فى تبليغه إلى سواه.

ولإيمان المسلمين الأوائل بعالمية الإسلام، حملوا أرواحهم على أكفهم وانساحوا فى الأرض لتبليغ الناس ودعوتهم إلى الإيمان بهذا الدين دون إلزام أو إكراه، فما كانت الحروب الإسلامية لفرض الدين وحمل الناس قسرا على اعتناقه، وإنما كانت حين يقف الطغاة يسدون طريق الدعوة ويحولون بين الدعاة والقيام بفريضة البلاغ، ولهذا كان يسبق الحرب أمران هما:-

الاول: الدعوة الى الإسلام فإن آمن القوم اختيارا ورغبة فهم اخواننا لهم ما لنا وعليهم وما علينا، فان أبوا و لم يستجيبوا فليس على المسلمين إكراههم على الإيمان بالإسلام، ولكن عليهم أن يدعوهم الى الأمر الثانى: وهو أن يدخل هؤلاء القوم مع المسلمين فى عهد وميثاق ليصبحوا أهل ذمة لا يتعرض لهم فى عقائدهم الدينية ويتمتعون بكل حقوق الحماية والرعاية فى مقابل فريضة مالية يسيرة لا تجب على غير القادرين منهم، وذلك العهد لغرض واحد، وهو أن يأمن المسلمون هؤلاء حتى لا يظاهروا غير المسلمين على المسلمين.

فإن أبوا ان يدخلوا مع المسلمين فى عهد وميثاق فقد جاهروا بهذا الرفض بالعداء، وكأنهم يعلنون وقوفهم ضد تبليغ الدعوة الإسلامية إلى الناس كافة فتصبح الحرب فى هذه الحالة ضرورة لتحرير المستضعفين من تسلط المتجبرين، حتى تتحقق الحرية الدينية لكل إنسان، ويصبح بهذه الحرية مسئولا عن اختيار العقيدة التى يدين بها.

و لم تكن فريضة التبليغ مقصورة على الدعاة الذين يسيرون مع الجيوش المجاهدة وإنما كان ينهض بهذه الفريضة كل قادر عليها، لأن كل مسلم يؤمن بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فوالله

---

(١) الآية: ٤٠ في سورة الأحزاب.

لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم) [1].

لقد حمل أمانة التبليغ والدعوة الى الإسلام فى كل عصور التاريخ كثير من العلماء والرحالة والمهاجرين، وعلى أيدى هؤلاء وغيرهم انتشر الإسلام فى بلاد لم تطأها الجيوش الإسلامية، لقد كانوا بسلوكهم وتعبيرهم الحى الواقعى عن قيم الإسلام وتعاليمه يؤثرون فى الناس تأثيرا دفعهم الى اعتناق هذا الدين والإعتصام به، ثم الدعوة اليه، ومازالت تلك البلاد ترتضى الإسلام دينا حتى الآن وبخاصة فى جنوب شرق آسيا على الرغم من تعدد حملات التبشير والتنصير التى تنفق الملايين فى كل عام وتستخدم أحدث وسائل النقل كالطائرات وذلك لزعزعة ثقة المسلمين بدينهم، وحملهم على اعتناق المسيحية [2].

وكان للوقف دوره الفاعل فى تبليغ الدعوة الإسلامية والتمكين لها فى دنيا الناس، والدفاع عنها وحماية المؤمنين بها حيما تعرض العالم الإسلامى لهمجية التتار والصليبيين فى الماضى، وتحديات الغرب ومؤامراته الاستعمارية الماعية فى العصر الحديث.

وفيما يلى عرض مجمل عن بعض مجالات الوقف وأثرها فى الدعوة الى الله، وان كان الوقف بكل مجالاته – كما أومأت فى المقدمة – يتغيا نصرة الإسلام والمسلمين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

المبحث الاول " الوقف على المساجد "

كانت دعوى القرآن الكريم والسنة النبوية الى البذل والعطاء والمسارعة الى الإنفاق فى السراء والضراء، كما كان حديث الكتاب العزيز، وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المال، وأنه فى الأصل مال الله، وأن النفس البشرية فطرت على حبه حبا جما وأن المسلم لن ينال الخير فى عاجلته وآجلته الا بالإنفاق مما يحب، فضلا عن الآيات والأحاديث التى تحض المسلم على أن يكون إنفاقه وعطاؤه ممتدا الى ما بعد وفاته وذلك بالوصايا والصدقات الجارية. كان كل هذا وغيره من العوامل التى جعلت المسلمين منذ فجر الدعوة يتنافسون ويتسابقون فى الإنفاق فى سبيل الله.

---

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل الصحابة الباب التاسع.

(٢) انظر: غارة تبشيرية على أندونيسيا لأبى هلال الاندونيسي ط. ليبيا.

وكان من مظهر التنافس فى الإنفاق بين المسلمين وقف الأموال وجعلها صدقة جارية، قال جابر: لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم – ذو مقدرة الا وقف [1].

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقف كثير من الصحابة، وكان الوقف فى هذه المرحلة المبكرة من التاريخ الإسلامى شاملا لما يسمى بالوقف الخيري، والوقف الأهلى.

وتتابع المسلمون بعد عصر الصحابة فى وقف أموالهم لأعمال البر وكانت الفتوحات الاسلامية وما أغدقته على المجاهدين من أسباب كثرة الأوقاف فى العصر الأموى كثرة عظيمة فى مصر والشام وغيرهما من البلاد المفتوحة [2].

ومما يستنبه النظر فى تاريخ الوقف الإسلامى كثرة الأوقاف على المساجد، وبلغ من ضخامة هذه الأوقاف أن خصص لها ديوان أطلق عليه ديوان أحباس المساجد، مهمته تسجيل هذه الأحباس فى سجل خاص، والاشراف عليها، وحفظها من الضياع.

وكانت أحباس المساجد التى تسابق الناس فى تشييدها، بل كان الملوك يتنافسون فى عظمة المساجد التى يؤسسونها، وينفقون عليها الأموال الكثيرة – كانت هذه الأحباس ترصد لصيانة المساجد ودفع مرتبات العاملين بها من أئمة ووعاظ وخدم، وقد جاء فى حجة وقف الأشرف برسباي [3] على الجامع الذى بناه بناية سرياقوس: لرجل من أهل الخير والدين صالح للخطابة بالجامع الكائن بمنشأة سرياقوس فى كل شهر من شهور الأهلة سبعمائة درهم، نصفها ثلاثمائة وخمسون درهما على أن يباشر وظيفة الخطابة فى أيام الجمع والأعياد ويؤم المسلمين فى صلاة الجمعة والعيدين، وفعل ما جرت العادة بفعله فى مثل ذلك على الوجه الشرعى، ولرجل من أهل الخير والدين حافظ لكتاب الله العزيز يكون إماما بالجامع المذكور فى كل شهر ما مبلغه ألف درهم على أن يؤم بالمسلمين الصلوات المفروضات وصلاة التراويح فى كل ليلة من شهر رمضان من كل سنة وفعل ما جرت العادة به. ولستة نفر من أهل الخير والديانة حسان الأصوات فى كل شهر بالسوية بينهم ألف درهم وثمانمائة درهم على أن يعلن

---

(١) المغنى لأبن قدامة ج ٥ ص ٥٩٨ ط. الرياض.

(٢) انظر: محاضرات فى الوقف ص ٨.

(٣) برسباي، جركسي الأصل، تولى حكم مصر سنة ٨٢٤ هـ وأطلق على نفسه الأشرف برسباي يقول بعض المؤرخين بأنه كان ملكا جليلا مبجلا منقادا للرعية يحب أهل العلم مهيبا مع لين جانب (توفى ٨٤١ هـ)(الاعلام- للزركلي).

بالأذان المشروع فى أوقات الصلوات فى نوبته التى يقررها له الناظر وفعل ما جرت العادة به من تسبيح وتهليل وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك.

ولأربعة نفر من أهل الخير والديانة فى كل شهر ألف درهم بالسوية بينهم على أن يكونوا فراشين بالجامع المذكور يفعلون ما جرت العادة به من كنس ومسح وبسط وغير ذلك. ويصرف لرجل من أهل الخير والديانة والعفة والأمانة يكون خادما للمصاحف الشريفة والربعة الشريفة للجامع المذكور فى كل شهر مائتي درهم على أن يتعاطى فى كل يوم خدمة المصاحف والربعة الشريفة بالجامع على العادة فى كل يوم من تجهيز المصاحف الشريفة للقراءة فيها وجمعها من أيدى القراء ووضعها فى محلها [1].

و هذه الحجة واحدة من مئات الآلاف من الحجج الوقفية على بيوت الله. لقد كان المسلمون وما يزالون يحرصون أبلغ الحرص على بناء المساجد ووقف الأموال عليها، وان تضاءلت ظاهرة الوقف فى العصر الحديث.

والمسجد فى الإسلام ليس دار عبادة فحسب، ولكنه إلى هذا مصدر الإشعاع الروحى والعلمى للأمة، ولا غرو أن كان المسجد هو منطلق الحضارة الإسلامية فقد كان الجامعة العلمية التى خرجت كل المفكرين والعباقرة فى شتى المجالات والذين قادوا مسيرة التطور الحضارى فى العالم كله [2]. فالحضارة الغربية المعاصرة ترجع الى عصر النهضة فى أوروبا، وحضارة هذا العصر ترجع الى الحضارة الإسلامية فى الأندلس، والى ما عادت به فلول الحملات الصليبية من ثقافات وأفكار وقفت عليها بعد أن عاشت فى ديار الإسلام نحو مائتى عام.

لقد ظلت مهمة المسجد ورسالته هى العبادة والتعليم والدراسة ومقر دائم للقيادة أو الرياسة فى عصر البعثة والخلافة الراشدة، ثم كان له إلى هذا بعد ذلك وظيفة مهمة وهى تنمية المجتمع وتطويره، إنها مهمة التغيير والتقدم، لأن المسجد كان له دوره الكبير فى القضاء على الأمية، والأمية فى كل أمة عقبة كأداء فى طريق التنمية.

والأمية التى كان للمسجد دوره فى انقاذ الأمة منها تشمل الأمية بمعنى الجهل بالقراءة والكتابة

---

(١) انظر: الوقف وأثره التنموي للدكتور على جمعه، بحث منشور فى أعمال ندوة الوقف بالكويت، ص ١٠٩.

(٢) انظر: العرب والحضارة الأوروبية للأستاذ عباس محمود العقاد ص ٢٥ ط. القاهرة، فقد ذهب بعض الأوروبيين الى أن أوروبا كان من المستحيل أن يكون لها شأن لولا وجود المعارف العربية، أى المعارف الإسلامية.

وكذلك الأمية الثقافية التى تتعلق بالجهل بأحكام الإسلام وقيمه الحضارية، وضعف الوعى بمشكلات الأمة، وما يجب على كل مسلم نحو دينه ونفسه وأهل الحق كافة.

لقد كان المسجد منارة سامقة للعلم والمعرفة والثقافة، منارة للارشاد والتوجيه.

واذا كانت الدعوة الى الإسلام تحتاج إلى رجال ذوي علم و ثقافة و فقه عميق لتعاليم الإسلام ومنهجه فى تأليف القلوب فإن المسجد كان الموئل الذى يلجأ اليه كل من يريد أن يتفقه فى الدين، وكانت حلقات العلم فى المساجد فى كل مكان من دار الاسلام لقاءات علمية مفتوحة تيسر لكل راغب فى العلم أن ينهل منها كما يشاء.

وكان هؤلاء الذين يدرسون فى حلقات المساجد ويتلقون العلم عن شيوخ هذه الحلقات هم دعاة الإسلام فى داخل دياره وفى خارجها، لقد كانوا كتيبة الجهاد فى الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحقيق مقاصد الشرع بين المسلمين وغيرهم وبخاصة فى مواجهة الظروف الحالكة فى تاريخنا من طغيان الحكام واستبدادهم، أو من همجية العدو الخارجى الذى لم ينس ما فعله به موسى بن نصير وطارق بن زيد، وصلاح الدين الأيوبى وغيرهم من أبطال الإسلام، فهو لهذا يخطط للإغارة على دار الاسلام يبغى تدميرها ماديا ومعنويا.

إن هذه الكتيبة المجاهدة تمثل القوة الذاتية فى الإسلام، تلك القوة التى تتأبى على الضيم، وتأخذ سبيلها إلى القلوب فى طواعية مهما تحاول طواغيت الإنس والجن أن تحجب عنها نور الإيمان وصحة اليقين، وقد اعترف بهذا بعض المستشرقين الذين راعهم أن يقف الإسلام صامدا فى مواجهة القوى المضادة، وأن ينتصر عليها فى كل المعارك، فهو كالصخرة العاتية التى لا تعبأ بالوعول الحانقة، والتى تتكسر عليها كل السهام وإن تركت بعض الندوب هنا وهناك.

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها و أوهى قرنه الوعل

إن المستشرق "جب " [1] ألقى ذات مرة خطابا أمام مجلس جامعة اكسفورد قال فيه ": طالما شهد الإسلام أن الثقافة الإسلامية قوبلت بمنافسات شديدة، ولكنها لم تنهزم على الرغم من ذلك لأن الأسلوب الروحي وتفكير العلماء الربانيين أسرع في دعمها وتأييدها ومنحها قوة لم تصمد في وجهها أية طاقة مضادة.

ويقول مستشرق آخر: طالما حدث أن الإسلام الديني أحرز نجاحا كبيرا في أحرج ساعات الإسلام السياسي [2] ويريد هذا المستشرق بقوله: إن القوة الذاتية للإسلام ما كان يعتريها ضعف أو ذبول في مراحل ضعف الدولة أو أفول نجمها.

ولا شك في أن اخلاص العلماء في القيام بواجبهم نحو دينهم وأمتهم وأن عليهم أن ينهضوا بأمانة التبليغ والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم ثقتهم في نصر الله وأنه سبحانه لا يتخلى عن عباده المتقين كان من وراء اعتصام الأمة بدينها وقوتها به على الرغم من الضعف الذي كان يحل بالدولة في بعض عصور التاريخ.

ولولا المسجد وما حبس عليه من أموال ما كان لهؤلاء العلماء أن ينهضوا برسالتهم في استقلالية عن هيمنة الدولة. وغنى عن عطاء الحاكم، الأمر الذي جعلهم سلاطين الأمة، تتوج من بينهم شيوخ الإسلام وسلاطين العلماء، وسلاطين العارفين، ليقودوا مسيرة حضارتها، وليذودوا عن حياض عقيدتها وليكونوا بحق ورثة الأنبياء في الدعوة إلى الله والتمكين لدينه في دنيا الناس، ومن ثم كانت تعلو مكانة العلماء وترجح كفتهم على مكانة وكفة سلاطين الدولة وأمرائها [3].

إن المسجد كان النواة الأولى للدعوة [4] والحضارة الإسلامية، وكانت الأوقاف التي حبست عليه من أهم العوامل التي هيأت لهذه النواة أن تؤدي رسالتها كاملة في تبصير الأمة بحقائق دينها و فقه

---

(١) " جب " من كبار المستشرقين المعاصرين كان له دور كبير في تحرير الطبعة الانجليزية من دائرة المعارف الإسلامية وكان عضوا بعدة مجامع لغوية عربية كمجمع القاهرة ودمشق وبغداد وقد تولى ادارة مركز الشرق الأوسط في جامعة هارفارد (الاعلام للزركلي).

(٢) انظر: الشيخ جمال الدين العالم الذي أدخل التتار في الإسلام للدكتور على القاضي،مجلة البعث الإسلامي (الهند)، المجلد الحادي والأربعون، العدد الثالث، ذو القعدة سنة ١٤١٦ هـ ص ٥١.

(٣) انظر: دور الوقف في النمو الاجتماعي للدكتور محمد عمارة كتاب ندوة الوقف بالكويت.

(٤) انظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص ١٢٩ ط. المكتب الإسلامي.

شريعتها وفي اعداد الدعاة الذين جاهدوا فى سبيل الله حق جهاده فكانوا مشاعل تنير الـــدرب علـــى طريق الحق والخير.

ويكفى هنا الإشارة الى بعض المساجد التي كثر الوقف عليها والتي كان لها أثرها في تنمية الدعـــوة إلى الإسلام، وكذلك فى تنمية الفكر الاسلامي والتي تطورت عبر التاريخ حتى أصبحـــت مؤسســـات إسلامية عالمية يؤمها طلاب المعرفة والثقافة من كل أرجاء العالم الإسلامي، والتي كانت حصنا حمـــى لغة القرآن وحضارته من مكر وكيد الاحتلال الغربي، وهذه المساجد هى: الجامع الأزهـــر بالقـــاهرة، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع القرويين بفاس [1].

المبحث الثانى" الوقـــف على الحرمين "

إذا كان الوقف على المساجد يأتي في مقدمة الأوقاف الخيرية وكان الناس يتسابقون فى هـــذا الوقف، ومن ثم كثرت الأوقاف على بعض المساجد، وبخاصة تلك التى كان لها تأثيرهـــا في مســـيرة الحضارة الإسلامية، ونهضة الحياة العلمية، ونشر الوعي الديني، فإن الوقف على الحرمين الشريفين فـــاق كل الأوقاف التي حبست على غيرهما من المساجد، ومرد ذلك إلى أن الحرمين مـــهوى أفئـــدة كـــل المسلمين، وإليهما تشد الرحال، وللصلاة فيهما من الأجر ما ليس لسواهما من بيوت الله. فالحرم المكـــى فيه البيت الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا، وجعل حجة فريضة على من استطاع اليه ســـبيلا، وهو إلى هذا القبلة التي يتجه إليها المسلمون فى صلاتهم، وأما الحرم المدني فهو يذكـــر الأمـــة برســـالة

---

(١) بنى الجامع الأزهر جوهر الصقلي سنة ٣٦١هـ وسمي بالجامع الأزهر نسبة الى السيدة فاطمـــة الزهـــراء بنـــت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بناؤه ليكون مسجدا للعبادة، ثم مدرسة تدرس فيها العلوم الدينيـــة علـــى مذهب الشيعة، ولكن بعد نحو مائتى عام في عهد الدولة الأيوبية منعت دراسة هذا المذهب وأصبح مدرسة جامعـة للعلوم الشرعية وفق المذهب السني، ثم تطورت الدراسة فيه حتى اتخذت صورة الجامعة بمفهومها الحديـــث الآن. اما جامع الزيتونة فقد بني بعد الفتح الإسلامي لتونس، وكان بناؤه فى العقد الثاني من القرن الهجرى الثاني، وقـــد أدخلت عليه بعض التحسينات والترميمات في القرن الثالث وما بعده، وأوقفـــت عليـــه الأمـــوال والمكتبـــات، وتطورت الدراسة به حتى أصبح جامعة تخرج فيها أعلام الإسلام في الماضي والحاضر. وجامع القرويين قـــامت ببنائه امرأة مسلمة فاضلة تقية صالحة وهي من مدينة القرويين، ولذلك حمل المسجد اسم هذه المدينة وإن شـــيد بمدينة فاس وكان ذلك فى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وقد شيد هذا الجامع منذ بادئ الأمر ليكـــون مركزا للتعليم ولهذا يعد أقدم جامعة إسلامية، وقد تطور عبر عصور التاريخ، وهو الآن جامعة تضم عدة كليـــات منها كلية الشريعة والآداب والعلوم.

الإسلام التي بعث بها محمد صلى الله عليه وسلم رحمة لعالمين. ففي رحابه يرقد الجسد الطاهر، وفيه روضة من رياض الجنة ومنه انطلق جند الله لدك معاقل الشرك والوثنية، وفي ساحته استقبل الرسول الكريم الوفود التي دخلت في دين الله افواجا، وله الى هذا حرمة الحرم المكي.

وفى هذا حض على الاعتصام بهذه الرسالة، والدعوة إليها والذود عنها، والدعاء لهذا النبى الذى جاهد فى الله حق جهاده حتى ترك الأمة على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولهذه المعانى وغيرها مما لا يتسع المجال لافاضة القول فيه كان تسارع الناس الى الوقف على الحرمين الشريفين وبخاصة الحكام على مر العصور.

ولكثرة أوقاف الحرمين خصص لها ديوان يشرف عليها أطلق عليه أحباس الحرمين [1].

وتذكر كتب التراجم والتاريخ أن سلاطين دولة المماليك [2] البحرية اهتموا اهتماما كبيرا بالحرمين، ويتجلى ذلك فيما أنفقوه وأوقفوه على هذه البقاع المقدسة، أو ما يتصل بها من خدمات و يمكن تقسيم هذه الأوقاف التى حبست على الحرمين من قبل هؤلاء السلاطين وغيرهم ثلاثة أقسام:

١ - أوقاف يستغل ريعها للصرف المباشر على عمارة وخدمة الحرمين والعاملين بهما.

٢ - أوقاف تستغل فى الخدمات العامة الدائمة بكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة مثل الحمامات والبيمارستانات والاحواض فى طريق الحج.

٣ - نفقات مباشرة لإجراء اصلاحات وترميمات فى الحرمين أو صدقات أو اصلاح الطرق التى يسلكها الحجاج وتأمينها من اللصوص وقطاع الطرق.

وتمثلت تلك الأوقاف فى قرى ومنشآت فى مصر والشام وقد دلت على الأماكن الموقوفة وثائق الوقف التى تحتفظ ببعض منها دور المخطوطات، وتعبر عن هذه الوثائق مجموعة من حجج شرعية

---

(١) انظر: أحكام الوقف فى الشريعة الإسلامية للدكتور محمد الكبيسى ج ١ ص ٣٨ ط. بغداد.

(٢) دولة المماليك البحرية أقامها المماليك على أنقاض الدولة الأيوبية وبسطت سلطانها على مصر والشام وحكمت من عام ٦٤٨ هـ الى ٧٨٤ هـ (انظر: دولة المماليك الاولى للدكتور احمد مختار العبادي).

أوقفها السلاطين والأمراء وغيرهم للصرف على تلك الأماكن المقدسة [1].

وقد شرع سلاطين المماليك فى القيام بالاصلاحات فى الحرمين منذ بداية عهدهم وتنافسوا فى حبس الأموال من أجل هذا، ومن أشهر الذين قاموا بأعمال خيرية جليلة فى الديار المقدسة كل من السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت: ٧٤١هـ) وابنه السلطان حسين (ت: ٧٦٢ هـ) والملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد بن قلاوون (ت: ٧٧٨ هـ).

ومن الوثائق الوقفية وثيقة حررت في سنة ٧٢٤ هـ أوقف السلطان الناصر محمد فيها سهما على المنقطعين بمكة والمدينة، ومما جاء في هذه الوثيقة: على الناظر فى هذا الوقف أن يجمع ريعه فى كل سنة ويرسل ما يتحصل منه الى بدء السنة المذكورة صحبة من يوثق به الى مكة شرفها الله تعالى وإلى المدينة الشريفة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والرحمة ويصرفه المسير على يده فى تجهيز المنقطعين بمكة والمدينة الشريفة النبوية لعدم الزاد والراحلة، ويصرف ذلك إليهم على ما يراه ويحتاجونه من زاد لتوصيلهم الى الديار المصرية أو ألى أوطانهم [2].

وللسلطان حسن وثيقة وقفية مؤرخة بتاريخ ٢٦ ربيع ثان ٧٦٢هـ أوقف سهما من نصفين، النصف الأول يصرف على مكة المكرمة، والنصف الآخر يصرف على المدينة المنورة.

وقد اشترط الصرف على كل ما يحتاج اليه المسجد الحرام من فرش ووقود وترميم وإصلاح وغير ذلك والصرف على الفقراء والمساكين من المجاورين بالحرم من الذكور والإناث المسلمين من أهل السنة.

وفى وثيقة أخرى اشترط هذا السلطان أن يصرف بعض ريع الأوقاف على غير القادرين لمساعدتهم فى أداء فريضة الحج [3].

وأما السلطان الأشرف بن حسين فإنه وإن لم يمكث في الحكم إلا نحو عشر سنوات، وأنه توفى فى الرابعة والعشرين من عمره كان خير ملوك زمانه، والدارس لحياته لا يسعه إلا الإعجاب بكل ما أوتى

---

(١) انظر: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين للأستاذ راشد سعد راشد القحطاني ص ٣١ ط. الرياض سنة ١٤١٤ هـ.

(٢) انظر: المصدر السابق ص ٤١.

(٣) انظر: المصدر السابق ص ٤٧.

من صفات عظيمة جعلت منه إنسانا جديرا بالتقدير، فقد اهتم هذا السلطان بعمارة الحـــرم المكـــي، وجدد شرفات المسجد النبوي، وأنشأ أسطولا بحريا قويا، وكان خيرا محبا للعامة، وقد ازدهرت الفنون والصناعات فى عهده، وتطورت علاقاته بالعالم الخارجي.

ومن أهم أعماله أوقافه الكثيرة على الحرمين، ويشهد لهذا وثيقة مهمة معروفة بوثيقة وقف السلطان الملك الأشرف شعبان، وهى محفوظة بدار الوثائق القومية بقلعة صلاح الدين بالقاهرة تحت رقم (٤٩).

وقد كتبت هذه الوثيقة يوم الاثنين الثالث من جمادي الآخرة عام ٧٧٧هـــ وهى مفقودة الافتتاحية ويبلغ طول المتبقى منها ٨٥ر٤٠ مترا.

واشتملت الوثيقة على الأعيان الموقوفة، وبيان جهات صرف ريع الوقف، وهذه الأعيان عبارة عـــن تسع قرى، وبستان وحمام، وقد وصفت الوثيقة كل قرية وعينت حدودها والمستثنى منها من الوقـــف، كما وصفت البستان وما يشتمل عليه من أنواع أشجار الفاكهة وما به من مساكن، كذلك وصفـــت الحمام محددة مساحته، وما به من دهاليز وطرق، وأدوات للاستحمام [1].

وأما أوجه صرف تلك الأعيان فقد نصت الوثيقة على أن يكون لأمير مكة مبلغ مائة وستين ألـــف درهم سنويا على ألا يأخذ شيئا من المكوس على ما يباع بأسواق مكة من مأكول أو مشروب، كمـــا لا يأخذ أيضا على المزروعات، ولا من يحضر إلى مكة حاجا او زائرا، وهذا كله لتخفيف العبء على أهل مكة ووفود بيت الرحمن.

والجهة الثانية للصرف خاصة بقراء القرآن الكريم وقارئ الحديث بالمسجد الحرام، والذين يدرسـون علوم الدين، والفقه على المذاهب الأربعة المشهورة، ومؤدب الأيتام ومن يقرأ المدائح النبوية، بالإضافـــة الى المؤذنين والأئمة والمكبرين، ومشايخ المذاهب، وسدنة الكعبة والذين يباشرون عمارة الحرم وترميمـــه واصلاحه.

وحددت الوثيقة مقدار ما يعطى لكل واحد من هؤلاء، و لم تنس الوثيقة أن تخصـــص للفراشـــين وخدام سلم الكعبة والسقائين ومبخر الكعبة، وصائدي الهوام والحشرات، ومن يوقد المسارج بـــالحرم والمشاعل فى الطرق المؤدية إليه، ومن يتولى تنظيف ما بين الصفا والمروة من العظـــام والأوســـاخ مـــا

---

(١) تقع كل هذه الأعيان فى بلاد الشام.

يصرف لهم لقاء ما يقومون به من أعمال.

والوثيقة إلى كل ما سبق اشتملت على نفقات خيرية، مثل كسوة الفقراء وشراء الأكفان ودفن الموتى.

ومن الأشياء التي تسترعي الانتباه في هذه الوثيقة تخصيص مبلغ مائة وخمسين درهما يشترى بها ناظر الوقف إبرا وخيوطا من الكتان والقطن ويرسل ذلك الى الحرم ليفرق على من يراه من الفقراء والمساكين، هؤلاء الذين لم يكن في استطاعتهم شراء مثل هذه الأشياء البسيطة لإصلاح ملابسهم التي تتمزق أو لخياطة ما كان يوزع عليهم من الأقمشة من ريع الوقف أيضا.

وكان السلطان الأشرف قد أنشأ ميضاة جديدة بجوار باب علي بالحرم كما أنشأ مارستانا جديدا في مكة المكرمة، وقد خصص له كل ما يحتاجه من أطباء وفراشين وفراشات وأدوية ونفقات جارية، وذكرت الوثيقة ما يعطى لكل هؤلاء من أموال.

هذا ما جاء في الوثيقة عن جهات صرف ريع الوقف في مكة، وتكاد جهات الصرف في المدينة لا تختلف عن جهات الصرف في مكة، ويلاحظ أن هناك جهة خصص لها مبلغ ثمانمائة درهم تقسم على أربعة يقف كل واحد منهم على باب من أبواب المسجد النبوى لحراسة نعال المصلين وغيرهم .... ويؤخذ من هذا أن أبواب مسجد الرسول في ذلك العصر كانت أربعة أبواب، وأن بعض ضعاف النفوس كانوا يستحلون لأنفسهم سرقة نعال المصلين.

و لم يغفل السلطان الأشرف مزارات المدينة كالبقيع ومسجد قباء، فلقد خصص لها مبالغ لحراستها وإصلاحها [1].

إن الوثيقة الوقفية للسلطان الأشرف على الحرمين الشريفين تعد من أهم الوثائق في تاريخ الوقف الإسلامي، لقد تناولت كل ما يتعلق بالمسجد الحرام والمسجد النبوي من حيث الصيانة ورعاية الذين يقومون بوظائف التدريس وتلاوة القرآن فيهما، فضلا عن الغاء ما يحصله الولاة من مكوس في مكة والمدينة تخفيفا عن الناس، وتيسيرا للذين يؤمون البيت العتيق للحج أو للزيارة.

إن الوقف على الحرمين الشريفين سواء أكان من عامة الناس أم من بعض الحكام والسلاطين كان

---

(١) انظر: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ص ٨٥.

من عوامل المحافظة والصيانة لهذه البقاع المقدسة التي هي وطن روحي [1] للمسلمين في كل مكان كما ساعد هذا الوقف الذين يرغبون في أداء فريضة الحج، ولكنهم لا يملكون الزاد والراحلة على أداء هذه الفريضة. وكفل مع هذا لأهل مكة والمدينة حياة آمنة مستقرة، كما كفلت للذين يؤمون تلك البقاع الطاهرة الراحة والأمان، ولهذا كان الوقف على الحرمين له دوره في تنمية العمل الدعوي، لأنه قوى الرابطة بين المسلمين وقبلتهم ومهجر نبيهم، وجعلهم يأتون رجالا أو ركبانا ليتزودوا بخير الزاد وهو التقوى، فيكون لهم بعد أوبتهم الى أوطانهم دور التوجيه والقدوة والدعوة الى الله بالتي هي أحسن.

والذى لا مراء فيه أن الوقف على الحرمين ظل عبر مراحل التاريخ قويا، وأن التنافس والتسارع في هذا الوقف لم يفتر، و أنه في العصر الحاضر، و بخاصة في عهد خادم الحرمين الشريفين تضاعف الاهتمام بهذا الوقف وآية ذلك ما جد على الحرمين من تجديد وتوسيع وما أنشئ في مواقف الحج من أسباب الراحة والأمان لوفود الرحمن، ومجال الحديث في تفصيل عن هذا محور آخر من محاور هذا المؤتمر المبارك.

المبحث الثالث" دور الوقف في حماية الذين ارتضوا الاسلام دينا "

لم يقتصر دور الوقف في مجال الدعوة الإسلامية على بناء المساجد، فقد خصصت أوقاف كثيرة لهؤلاء الذين ارتضوا الاسلام دينا، وكانت عونا لهم على تثبيت ايمانهم وتأليف قلوبهم ومن ذلك ما ورد في السجلات الشرعية لمدينة " بورصة " التركية، فقد جاء فيها أن بعض الواقفين قد خصصوا صندوقا للمهتدين من إيرادات الأوقاف وأن الوقفية التي تعزى للأمير السلجوقي " شمس الدين آلتون أبا " الذى عاش في القرن الثامن عشر الميلادى، كان من شروطها: " أن من اهتدى من غير المسلمين من الغرباء وأهل هذه الديار وترك دينه الباطل يصرف لطعامه وملابسه وأحذيته وختانه ولتعليمه قدرا من القرآن تصح به الصلاة خمس أسهم الخان المختص بمقام الدباغين الموسوم بالحديقة الجديدة المحتوي على ثمانية عشر مسكنا وعلوا الكائن بربض قصر مدينة قونية في محلة تعرف بالميداني ".

وجاء في وقفية سجلت قبل وقفية الأمير شمس الدين بنحو ثلاثمائة عام وهى وقفية الحاج عوض الذى كان وزيرا في عصر مراد الثاني: " ويجمع كل يوم درهمان لمن يحتاج الى مصلحته ممن يتمسك

---

(١) انظر: نخبة الأزهار وروضة الأفكار للشيخ محمد عبد الله دراز تحقيق الشيخ عبد الله الأنصارى ط. دولة قطر.

بعروة الإيمان من وادي الكفر والطغيان ويختار الهداية على الضلالة والعصيان ".

وفى وثيقة وقفية سجلت بتاريخ ١٨ ربيع الأول سنة ٨٩٦ هـ نص فيها على ما يلى: سبب تحرير هذه الوثيقة هو أنه أسلم الكافر المسمى باسماعيل من حى المرحوم الشيخ حاجي خليفه، وأعطى مائة " اقجة " [١] من الأقجات المخصصة للمهتدين بطلب من القاضي، وبيد المتولي محمد بن أفلاطون.

وفى قيد مكتوب بعد هذه الوثيقة بسنين .....، منذ أن كان سهيل أغا متوليا أعطى خمسين أقجة للمهتدي الذى أرسل مع المحضر من قبل القاضي الكبير، وكذلك أعطى لمهتد ستين أقجة المرسل مع المحضر بالي من قبل القاضي [٢].

وتدل سجلات الوقف على أن شروط الواقف فى إعطاء المهتدين من إيراد الوقف ما يحتاجون اليه من طعام وثياب ظل معمولا بها نحو خمسة قرون، وكان المهتدي يأتي إلى المحكمة الشرعية إما منفردا، وإما مع من يعرفه، وإما مع من هداه إلى الإسلام، والقاضي كان يرسل المهتدي مع المحضر إلى متولي الوقف ليضمن إعطاء المال، وكان ما يعطى للمهتدين يتفاوت بتفاوت ظروف كل مهتد، ومدى حاجته إلى المال.

والذى لا ريب فيه أن شروط الواقفين الخاصة بمساعدة المهتدين كانت سببا من أسباب دعمهم، واستقرار حياتهم، كما أنها كانت عاملا مشجعا للذين يريدون أن يؤمنوا بهذا الدين، وبذلك كفلت الأوقاف تنمية الدعوة الإسلامية فى مجال اهتداء غير المسلمين. وهو مجال له أهميته فى العمل الدعوي، و لم تكن الأوقاف العثمانية وحدها هى التي خصصت بعض إيراداتها للمهتدين، وإنما كانت الأوقاف فى العالم الإسلامى كله ترعى هؤلاء الذين آمنوا بالإسلام، و إن كان للأوقاف العثمانية وبخاصة فى مدينة بورصة التركية دور الريادة في هذا [٣].

---

(١) كلمة تركية تطلق على عملة تركية صغيرة القيمة (وانظر: معجم الاقتصاد الاسلامى للدكتور أحمد الشرباصى).

(٢) انظر: أثر الأوقاف العثمانية فى اهتداء غير المسلمين للأستاذ عثمان جنين، مجلة الخيرية العدد ٧٤ محرم سنة ١٤١٧ هـ ص ٢٦.

(٣) انظر: المرجع السابق.

المبحث الرابع " الوقـــف والجهـــــــاد "

تمهيد:

ليست كلمة الجهاد فى الإسلام مرادفة لكلمة قتال أو حرب، ولكنها أعم منها، اذ تصـــدق تلـــك الكلمة – بجميع مشتقاتها اللغوية – على بذل الجهد قدر الوسع [1] والطاقة مطلقا، وان كان الأغلـــب والأشهر استخدام الكلمة فيما يبذله الإنسان، احقاقا لحق وازهاقا لباطل، فقد وردت مادة: " جـــهد " بصيغها واشتقاقاتها المختلفة فى الكتاب العزيز احدى وأربعين مرة [2]، منها مرتان بصيغـــة واحـــدة فى بذل الجهد فى المنكر والشر، قال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصالـــه فى عامين أن أشكر لى ولوالديك الي المصير، وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك بـــه علـــم فـــلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا) [3]. وقال تعالى: (ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جـــاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) [4].

فهذا جهاد آثم ظالم، جهاد فى سبيل الشرك، وما أقبحه من جهاد، أما سائر ما ورد من مادة جـــهد فى القرآن الكريم وهو تسع وثلاثون مرة فهو لا يخرج عن معنى بذل الجهد انتصارا للخـــير ومقاومـــة للشر والأهواء على تنوعها وتباينها.

وتحدثت السنة النبوية عن الجهاد [5] بهذا المفهوم الغالب الذى ينسحب على كل بذل مبرور وعمل صالح كثيرا، فقد ورد الأمر بمجاهدة الأهواء كما بجاهد الأعداء، وأن أفضل الجهاد حج مـــبرور، وأن رعاية الآباء جهاد. وأن كلمة الحق فى مواجهة الجور جهاد الى غير ذلك مما لا مجـــال هنـــا لحصـــره وذكره.

وطوعا لهذا المفهوم كان الجهاد ماضيا الى يوم القيامة وأن الأمة المسلمة أمة مجاهدة دائما، لا يفـــتر

---

(١) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي، ج ٢ تحقيق الشيخ محمـــد علـــى النجـــار ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

(٢) انظر: معجم ألفاظ القرآن الكريم اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(٣) الآية: ١٤ – ١٥ في سورة لقمان.

(٤) الآية: ٨ في سورة العنكبوت.

(٥) انظر: مادة " جهد " فى المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي.

كل أبنائها عن السعى الدائب فى سبيل عزة الأمة وكرامتها، وفق ما يسر الله لكل فـــرد فيـــها مـــن الطاقات والقدرات، فلا يكلف الله نفسا الا وسعها.

الوقف والجهاد:

اذا كان الوقف على المساجد قد غذى الدعوة الإسلامية برجال يفقهون أحكام دينـــهم وتعاليمـــه ويجاهدون فى سبيل نشرها وتبليغها، واذا كان قد قام برسالته فى حماية المهتدين ومد يد العون اليـــهم حتى يستقر الإيمان فى قلوبهم فان الوقف من ناحية أخرى كان له دوره في حماية هذه الدعـــوة ودفـــع غارات المعتدين عليها، وذلك عن طريق تلك المؤسسات الوقفية الخاصة بالمرابطين في سبيل الله، يجـــد فيها المجاهدون كل ما يحتاجون إليه من سلاح، وذخيرة وطعام وشراب، وكان لها أثر كبـــير في صـــد غزوات الروم أيام العباسيين، وصد غزوات الغربيين أيام الحروب الصليبية عن بلاد الشام ومصر [1].

يقول ابن حوقل عن طرطوس على حدود المسلمين مع دولة الروم: و رأيت غير عاقل مميز، وســـيد حصيف مبرز، يشار إليه بالدراسة والفهم، واليقظة والعلم، يذكر أن بها مائة ألف فارس، وكان ذلـــك عن قريب عهد من الأيام التى أدركتها وشاهدتها، وكان السبب في ذلك أنه ليس من مدينة عظيمة مـــن حدسجستان وكرمان وفارس وخوزستان والجبال وطبرستان والجزيرة وأذربيجان والعراق والحجـــاز واليمن والشامات ومصر والمغرب إلا بها لأهلها دار يترلها غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوهـــا، وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة الجســـيمة الى مـــا كـــان الســـلاطين يتكلفونه، وأرباب النعم يعانونه، وينفذونه متطوعين متبرعين، و لم يكن في ناحية ذكرتهـــا رئيـــس ولا نفيس إلا وله عليه وقف من ضيعة ذات مزارع و غلات، أو سقف من فنادق [2].

إن المسلم يؤمن إيمانا جازما بأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وأن عليه أن يجاهد بما يقدر عليـــه، وبهذا كان وقف الأموال على حماية الثغور واعداد القوة التى ترهب أعداء الله وأعداء الحياة جـــهادا في سبيل الله، لقد كثرت الأموال المحبوسة على المجاهدين، والمرابطين. وكانت هذه الأموال خـــط دفـــاع راسخ الدعائم عن الدعوة الخاتمة، وكان كل من لا يجد لديه ما يحمل عليه يهرع إلى هـــذه الأوقـــاف فيتزود منها بسلاحه وطعامه، ويتخذ للجهاد أهبته، حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله.

---

(١) انظر: من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعى ص ١٢٦ ط المكتب الإسلامي.

(٢) نقلا عن الوقف وأثره التنموي للدكتور على جمعه ص ١٢٣ بحث منشور فى كتاب ندوة الوقف — الكويت.

وقد ترتب على تلك الأوقاف الخاصة بالمرابطين رواج الصناعة الحربية وقيام المصانع الكبيرة لها في أكثر من مكان في الديار الإسلامية، حتى كان الغربيون في الحروب الصليبية يفدون الى بلادنا – في أيام الهدنة بيننا وبينهم – ليشتروا منا السلاح، وكان العلماء يفتون بتحريم بيعه للأعداء [1].

إن الأوقاف التي حبست على المجاهدين يسرت لكل مناضل ومدافع عن الحق والخير أن يبيع حياته في سبيل الله ليشترى بها جنة عرضها السموات والأرض.

واذا كانت بعض البلاد الأسلامية في العصر الحديث تقيم أحيانا أسبوعا للتسلح تجمع فيه التبرعات والهبات لتقوية الجيش وتسليحه فإنها ما كانت في حاجة الى اقامة هذا الأسبوع، لو كان الوعي بأهمية الوقف كما كان في الماضى، إن ضعف هذا الوعي حرم الأمة من ثروات ضخمة كان الناس يسارعون إليها ابتغاء رضوان الله، وهذه الثروات الموقوفة كان يمكن للأمة أن تنشئ بها المصانع الحربية التي تزود الجيوش بالسلاح والعتاد والتي تجعلنا في غني عن شراء السلاح من دول وأمم تفرض علينا ما تشاء من الشروط والقيود التي تنال من كرامتنا واستقلالنا حتى تبيع لنا ما نحمي به ديارنا ونمنع أعداءنا.

وحين تحركت جيوش الغرب لاحتلال العالم الإسلامى، وهو احتلال لم يكن يتغيا سلب ثروات هذا العالم وجعله سوقا يستهلك ما ينتجه الغرب فحسب، وانما كان يتغيا من احتلاله للعالم الإسلامى القضاء على الروح التي جعلت من الحفاة العراة قوة غالبة، قضت على أكبر إمبراطوريتين في العالم، وقت ظهور الإسلام، حين تحركت تلك الجيوش في هجمتها الآثمة والهمجية على العالم الإسلامى، تصدى الوقف للمخططات الاستعمارية الباغية على الرغم من أن هذه المخططات استولت على كثير من أموال الوقف وأنفقتها في غير ما خصصت لها. لقد كان للأموال الموقوفة أثرها ودورها في المحافظة على ابقاء جذوة الأسلام متقدة وفى المحافظة على قيم الدين وفي حماية المجتمع الإسلامي من سياسة التبشير والتنصير، وإن أصاب هذا المجتمع من جراء هذه السياسة ما أصابه من الثنائية الفكرية التي جلبت على الأمة بعض المشكلات وكان في مقدمتها تفاوت الآراء واختلافها حول التطبيق الكامل للشريعة الغراء.

إن احتلال الغرب للعالم الإسلامي بدأ التخطيط له بعد هزيمة الصليبيين وطردهم من ديار الإسلام بعد أن عاثوا فيها نحو مائتي عام، فقد أدرك الغرب من خلال حروبه الصليبية أن المسلمين يتفوقون

---

(١) انظر: من روائع حضارتنا ص ١٢٦.

عليهم فكريا وحضاريا واقتصاديا، وكان النصر العسكرى الذي أحرزه المسلمون فى هـذه الحـروب تتراءى صورته في مخيلة الأوربيين ولاسيما الحكام والقادة فتزعج خواطرهم وتبعث في نفوسـهم روح التوجس والخوف من أن تفاجأهم الجيوش الإسلامية وتغزوهم فى عقر دارهم، وأذكى هـذا الشـعور بالمعاداة والقلق موقف الكنيسة من حركة الفتوحات الإسلامية.

وإذا كانت أوروبا قد خططت لانحسار المد الإسلامى فى شبه جزيرة أسبانيا فقد أزعجـها المـد الإسلامي الجديد في شرق أوروبا وبخاصة بعد أن فتح الأتراك مناطق البلقان وحاصروا فيينا.

لذلك أخذت أوروبا توجه اهتمامها لمقاومة الإسلام واحتلال دياره، وكان الاستشراق والتبشـير من أمضى أسلحة الاستعمار الغربى للعالم الإسلامي، لقد مهدا لهذا الاستعمار وكان عونا له فى رسـم سياسته وقاما الى جانب هذا بتشويه الإسلام عن طريق الطعن في مبادئه وتعاليمه، وتشويه المسـلمين بتصويرهم على نحو ينفر منهم ويسئ اليهم. كما حاولا وبخاصة التبشير تنصير المسلمين [1].

وساعدت الظروف التى مر بها العالم الإسلامي، وقضت عليه بالتخلف والضعف أوروبا علـى أن تبسط سلطانها على هذا العالم، وتقاسم الغربيون بلاد المسلمين، و لم يدعوا قطرا دون احتلاله أو الهيمنـة عليه.

وأخذ الاستعمار بعد أن أحكم قبضته العسكرية على الشعوب الإسلامية يطبق سياسة خبيثة حاقدة تريد للوجود الإسلامي أن يتوارى أو على الأقل تذهب أصالته وهيبته ويصبح تابعا للوجود النصرانى.

إن المسلمين فى الهند كانت لهم القيادة فلما احتل الانجليز هذا القطر عملوا على اقصاء المسـلمين عن مراكز القوة وساعدوا الهندوس على أن تكون لهم الكلمة العليا، و لم يكتفوا بذلك بل نهبوا أمـوال الأوقاف التى كانت مخصصة للمدارس وتعليم أبناء المسلمين وأبعدوا العلماء المسـلمين عـن مراكـز النشاط العلمي، لإضعاف هذه المراكز من جهة، ولإخضاع هؤلاء العلماء لسياسـة المحتـل الراميـة لإضعاف المسلمين والسيطرة عليهم من جهة أخرى.

وعلى الرغم مما بذله الاستعمار الانجليزى من جهود للنيل من الإسلام والمسلمين ظلـت جـذوة الإسلام مشتعلة وظل تماسك المسلمين قويا، وذلك بفضل الأموال الموقوفة التى سلمت من الاغتصـاب

---

(١) انظر: التبشير والاستشراق للمستشار محمد عزت الطهطاوى، ط مجمع البحوث الإسلامية القاهرة.

والسرقة. فهذه الأموال أتاحت لرجال التعليم فى المعاهد الإسلامية فرصة الاستمرار في اداء رسالتهم التربوية والحفاظ على الهوية الإسلامية، وبقاء الإسلام في الهند. وأن مكث الاستعمار به عدة قرون، سعى فيها بمختلف الوسائل للقضاء على الإسلام والمسلمين.

وكانت الكنيسة فى ظل الاحتلال الغربى للعالم الإسلامى قد نشطت لتنصير المسلمين، وجندت لذلك آلاف المبشرين ووضعت تحت أيديهم كل ما ييسر لهم القيام بمهمتهم كما سبقت الاشارة الى هذا [1].

ولكن الوقف حال بين هؤلاء المبشرين وتنصير المسلمين، لأنه كان المورد لكل الزوايا والتكايا والمدارس والمساجد التى لم تخل مدينة أو قرية منها فى العالم الإسلامي، وقد تخرج فيها عشرات الآلاف من العلماء والدارسين، وكان هؤلاء قوة فكرية إسلامية تصدت لمحاولات الاستعمار والكنيسة، وحفظت على الأمة عقيدتها وهويتها، وإن تركت هذه المحاولات بعض الآثار السيئة في مفاهيم كثير من المسلمين ولاسيما هؤلاء الذين تربوا وفق النظام التعليمي الذى وضع أسسه الفكر الغربي.

وكانت فرنسا فى المغرب العربي تخطط لجعل المغرب قطعة منها لغة وعادات وأسلوب حياة، وإن حجبت عنه العلوم النافعة، ليظل خاضعا لها، وكادت تنجح فيما خططت له، غير أن أموال الأوقاف التي سلمت من الاستيلاء عليها قد غذت الكتاتيب في البوادي والقرى، وحولت المساجد والخيام إلى مدارس لتعليم لغة القرآن وعلوم الدين، وأنشأت أجيالا فقهت مسئوليتها نحو دينها ووطنها فتمردت على سياسة التغريب والتنصير، وأعلنت الجهاد المقدس، وبذلت ما بذلت من الأموال والأنفس حتى طردت فرنسا من المغرب، وان ظل للتخطيط الاستعماري الفرنسي بصماته التي أورثت المسلمين في المغرب ألوانا من الصراع حول تطبيق الشريعة والالتزام بكل أحكامها، وستعلو كلمة الحق فى النهاية مهما يكن للباطل من صولة وجولة (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) [2].

ولما ألغى أتاتورك الخلافة وسعى جاهدا لتجريد تركيا من صيغتها الإسلامية، واضطهد العلماء، ومكن للعلمانية فى دولة كانت تمثل بالنسبة للأمة مركز القيادة وجمع الكلمة — لما فعل هذا ظن البعض

---

(١) انظر: ص ٩ من هذا البحث.

(٢) الآية: ٨ في سورة الانبياء.

أن الإسلام فى تركيا قد اضمحل تأثيره، ولكن هذا الظن لم يكن صحيحا، ويرجع ذلك إلى أن الوقف وما كان أكثر في تركيا وما يزال – قد أدى دوره فى ابقاء جذوة الإسلام متقدة في النفوس، حية في المشاعر، لأن أمواله التى حافظت على المعالم الأثرية والخانات والزوايا والكتاتيب والمساجد حمت الأجيال الناشئة من أن تذوب في تيار العلمانية الذي تراجع أخيرا، وإن كان له أعوانه وسدنته الذين بأيديهم السلاح والقوة المادية، ولكن هذا السلاح سيفل أمام سلاح الإيمان واليقين (فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) [1].

إن الوقف فى تركيا الآن يصدر مجلة شهرية باللغة التركية عن الوقف كما يصدر موسوعة إسلامية، وقد صدر من هذه الموسوعة اثنا عشر مجلدا، بالإضافة إلى ما ينفق من أموال الوقف على الفقراء وكثير من المدارس القرآنية المنتشرة فى كل أنحاء تركيا [2].

وفى مصر كانت لبريطانيا سياسة لا تختلف من حيث الغاية عن سياسة فرنسا فى الغرب وإن اختلفت الوسائل أحيانا، لقد حاول الإنجليز إضعاف اللغة العربية، وتشجيع اللغة العامية، كما فرضوا القوانين الوضعية، ونهبوا معظم أموال الأوقاف، وما تركوه منها أهمل حتى أصبح ريعه تافها وقاوم هذه السياسة علماء الدين وزعماء الإصلاح، وكان للأزهر بفضل موارد الأوقاف الخاصة به دوره في التصدي لتلك السياسة، لقد كان كالصخرة التي تكسرت عليها كل أمواج التغريب، لقد خرج أجيالا من الدارسين لعلوم الدين ولغة الكتاب العزيز، وهؤلاء – ومنهم كثير من الكتاب والأدباء والعلماء – مثلوا جبهة مضادة لإبعاد الإسلام وأحكامه عن قيادة الأمة، وإن ظل الصراع قائما بين دعاة تطبيق الشريعة، ودعاة العلمانية كما هو الشأن فى كل البلاد الإسلامية بوجه عام. وكانت سياسة بريطانيا في فلسطين تقوم على تخطيط مدروس لطرد الشعب الفلسطيني من وطنه، وإحلال العصابات الصهيونية محله، بحجة الوعد الكاذب، والأوهام الدينية التي لا أساس لها، ووقف الفلسطينيون يعارضون هذه السياسة، وقامت عدة ثورات، ضد الاحتلال الانجليزى والصهيوني، على الرغم من الأساليب البشعة واللاإنسانية التي اتبعت في الاستيطان. وقد أعان على موقف الفلسطينين ونضالهم المشروع أموال

---

(١) الآية: ١٧ في سورة الرعد.

(٢) انظر: الوقف الجماعى للدكتور أحمد الحجي، مجلة الوعي الإسلامى، العدد ٣٧٤ شوال ١٤١٧ هـ ص ٦٠ – ٦٤. وقد أتيح لي أن أزور مدينة استانبول فى صيف ١٩٩٦ فرأيت مساجدها الكثيرة يؤمها الشباب والأطفال فضلا عن الشيوخ مما يبشر بخير، وأن تركيا لن تكون الا دولة إسلامية وان كره المبطلون.

الوقف، وبخاصة ما كان منها للمؤسسات التعليمية التي خرجت الأئمة والعلماء والمدرسين، وحمت المجتمع الفلسطيني من سياسة الإرهاب النفسي والجسدي التي كانت تهدف الى زعزعة القيم الإسلامية في النفوس حتى يسهل قيادها، وفرض ما يشاء المستعمر من مفاهيم وقوانين.

وجملة القول أن الوقف كان له دوره الواضح في تنمية العمل في مجال الدعوة الإسلامية. لقد هيأ للدعاة والمجاهدين السبيل لنشر دين الله وتبصير الناس بأحكامه، كما هيأ لهم أسباب الجهاد المسلح ضد الطامعين والحاقدين.

ووقف الوقف الى جانب الذين ارتضوا الإسلام دينا فأيدهم بما حفظ عليهم عقيدتهم و مكن للإيمان في قلوبهم، وكان له مع هذا في عصر الهجمة الاستعمارية أثره الفاعل في مقاومة سياسة الغزو الفكري، والحفاظ على الهوية الإسلامية بكل خصائصها وأبعادها. على أن كل مجالات الوقف المؤثرة في الدعوة إلى الله كانت تتمتع بالاستقلالية فلا تخضع لسلطان الدولة من حيث الإنفاق، ومن ثم كانت تؤدى رسالتها الدعوية في حرية، ومن هنا كانت تلك المجالات مؤسسات إسلامية خالصة وليست مؤسسات حكومية تنفق عليها الدولة، وتملي عليها السياسة ما تشاء من المفاهيم والتوجهات.

ومما يبشر بالخير في واقعنا المعاصر أن هناك عدة جمعيات ومنظمات تعمل في مجال الدعوة الإسلامية بأموال موقوفة أو مقتطعة شهريا من رواتب الموظفين، وفق قوانين تنظم هذا، وهذه الجمعيات والمنظمات تهتم فى نشاطها بالدعوة ألى الله. ومحاربة الإلحاد واقامة المساجد والمراكز الإسلامية ولاسيما في البلاد التي توجد فيها أقليات إسلامية، والمسجد يعد بالنسبة لهذه الأقليات مركز دعوة وملتقى تعاون وتكافل، وكذلك ترجمة وطبع معانى القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بمختلف اللغات بالإضافة إلى ترجمة كثير من الكتب الاسلامية حتى تيسر لغير الناطقين بالعربية فرصة التعرف على الأسلام وتشريعاته باللغة التي ينطقون بها.

وإلى جانب هذا تقوم تلك الجمعيات بتقديم المنح الدراسية وكذلك تقديم المعونات الغذائية والصحية والتربوية لهذه الأقليات حتى لا تقع فريسة الحاجة في قبضة المبشرين والمفسدين أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

ولعل فى عمل تلك الجمعيات والمنظمات ارهاصا بعودة الوقف إلى القيام برسالته في تكافل الأمة وتعاونها على الخير والبر، حتى تظل بحق خير أمة أخرجت للناس، وأن لها منزلة الريادة والقيادة والشهادة على غيرها من الأمم.

الخاتمة

" أهم النتائج وبعض التوصيات "

وبعد الحديث عن تلك المجالات الوقفية وأثرها فى الدعوة إلى الله، ما أهم النتائج العلمية التي انتهى إليها هذا الحديث، وما أهم التوصيات التي يرشد اليها.

أما النتائج فأهمها:

أولا: يختلف الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم عن كل ما بعث به الأنبياء الذين خلو من قبله في أنه دعوة للناس كافة، ومن ثم كانت معجزة محمد معجزة الدهر، ومحفوظة من التغيير والتحريف، وكان هذا النبي الأمي خاتم الأنبياء.

ثانيا: إن عالمية الإسلام تفرض على المؤمنين به أن يكونوا قاطبة دعاة لهذا الدين، وفق ما يسر الله له لكل منهم.

ثالثا: لقد نهض الوقف عبر تاريخ الأمة بدور مجيد في نشر الرسالة الخاتمة، وكان الواقفون بما بذلوه دعاة مخلصين إلى الله.

رابعا: ومما ساعد على قيام الوقف برسالته استقلالية موارده، وعدم هيمنة الدولة عليها مما مكن العلماء والدعاة من الجهر بكلمة الحق والجهاد الصادق لنصرة الإسلام والدعوة إليه.

خامسا: تشهد تنوع المجالات التي كان لها أثرها البالغ في ذلك الدور بالروح الإسلامية التي لم تهن على الرغم من معاول الهدم، والتي جاهدت، ودرأت عن الأمة غوائل الكفر والضلال وحفظت عليها أصالتها.

أما التوصيات فهى:

أولا: ينبغى تبصير الأمة فى حاضرها بضرورة القيام بدورها المباشر فى نشر الدعوة، ومقاومة التحديات الباغية عن طريق الانفاق التطوعى بوقف الأموال ورصدها فى سبيل الله، ولها فى السلف الصالح خير قدوة.

ثانيا: ولكي يكون دور الأمة فاعلا يحتاج الأمر إلى اجتهاد فقهى وتخطيط علمي يتوخى توسيع مجالات الوقف، وطرق استنماء أمواله وإنفاقها فيما حبست عليه.

والله يتولى الجميع بهدايته وتوفيقه..

ا.د. محمد الدسوقي

المصادر والمراجـــع

" القرآن الكريم "

١- أثر الأوقاف الإسلامية فى اهتداء غير المسلمين للاستاذ عثمان جنين مجلة الخيرية العدد ٧٣ المحـــرم ١٤١٧ هـــ ص ٢٦.

٢- احكام الوقف فى الشريعة الاسلامية للدكتور محمد الكبيسى ط. بغداد.

٣- الأسس العامة للتشريع الاسلامى للشيخ على الخفيف مجلة الأزهر المجلد ٢٤ ص ٣٠.

٤- أصول الفقه الإسلامى للشيخ زكى الدين شعبان ط جامعة بنغازى ليبيا.

٥- الاعلام للزركلي.

٦- الاقناع فى حل ألفاظ ابي شجاع للخطيب الشربيني ط الحلبي، القاهرة.

٧- أوقاف السلطان الأشرف على الحرمين للاستاذ راشد سعد القحطانى ط. الرياض.

٨- بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز أبادي جـــ ٢ تحقيق الشيخ محمـــــد علـــى النجار، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

٩- التبشير والاستشراق للمستشار محمد عزت الطهطاوى ط. مجمع البحوث الإسلامية القاهرة.

١٠- تذكرة الدعاة للأستاذ البهى الخولي ط. القاهرة.

١١- الشيخ جمال الدين العالم الذي أدخل التتار في الإسلام للدكتور على القاضي، بحث منشـــــور في مجلة البعث الإسلامي (الهند) المجلد ٤١ العدد ٣ ذو القعدة سنة ١٤١٦ هـــ، ص ٥١.

١٢- دور الوقف في النمو الاجتماعى للدكتور محمد عمارة، بحث منشور فى كتاب ندوة الوقـــف- الكويت.

١٣- دولة المماليك الأولى للدكتور أحمد مختار العبادي ط. القاهرة.

١٤- شرح فتح القدير جـــ ٥ ط. دار صادر بيروت.

١٥- صحيح البخاري.

١٦- صحيح مسلم.

١٧- العرب والحضارة الأوروبية للأستاذ عباس محمود العقاد ط. القاهرة.

١٨- غارة تبشيرية على أندونيسيا للأستاذ أبي هلال الأندونيسى ط. ليبيا.

١٩- القرآن الكريم المعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة ط.دار الكتاب العربي. القاهرة.

٢٠- كفاية الأخيار ط. قطر.

٢١- لسان العرب لابن منظور.

٢٢- محاضرات فى الوقف للشيخ محمد أبو زهرة ط. دار الكتاب العربي – القاهرة.

٢٣- معجم الاقتصاد الإسلامى للدكتور أحمد الشرباصي.

٢٤- المعجم الوسيط.

٢٥- المغني لأبن قدامه ط. الرياض.

٢٦- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها للأستاذ علال الفاسي ط. مكتبة الوحدة العربية – الـــــدار البيضاء.

٢٧- من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعى ط. المكتب الإسلامي.

٢٨- نخبة الأزهار وروضة الأفكار للشيخ محمد عبد الله دراز تحقيق الشيخ عبد الله الأنصـــارى - ط. قطر.

٢٩- الوقف الجماعي للدكتور احمد حجي الكردي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٧٤ شوال ١٤١٧ هـــ ص ٦٠ – ٦٤.

٣٠- الوقف وأثره التنموي للدكتور على جمعه، بحث منشور فى كتاب ندوة الوقف – الكويت.